المحاضرة الأولى: ضبط المصطلحات

مفهوم التصوف: تعددت اشتقاقات هذه الكلمة من الناحية اللّغوية، وحملت معاني متعدّدة ووجهات نظر مختلفة من ذلك:

يذهب بعض الباحثين إلى أنّ كلمة التصوف مشتقة من كلمة صوف والذي نعني به شعر الحيوانات وهو ما يؤكده **الطوسي** في قوله: «كذلك الصوفية عندي نسبوا إلى ظاهر اللباس، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها متمرسون»، وهذا ما يرجحه اليافعي كون لباس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلف الصوفيّة كدليل على التقشف والتواضع والزهد، فهو لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكما جاء في السيرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحب لبس الصوف تواضعا وقبله النبي عيسى عليه السلام ومن بعدهم الرهبان في المسيحية والزهاد في الإسلام.

أمّا البعض الآخر من الباحثين فينسبونهم لأهل الصفة وهم جماعة نزلوا إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا به بعد أن هاجروا ديارهم وأصبح المسجد مكان عزلتهم وزهدهم، وهذه الحياة استهدفت رجال التصوف فلم تخلو مجالسهم من التذكير بأهل الصفة وشرف النسبة إليهم.

وقد نسب أيضا مفهوم التصوف إلى الصفاء؛ وذلك لصفاء أسرارهم وضياء قلوبهم ونقاء صدورهم، إلّا أنّ **القشيري** ينفي ذلك لأن نسبة الصفاء هي صفائي وليس صوفي.

وغير ذلك الكثير من النسب كاشتقاق الكلمة من الصف الأول، أو نسبتها إلى نبتة زغباء قصيرة، أو نسبة لصوفة بن بشر، أو اشتقاقها من كلمة سوفيا اليونانية والتي تعني الحكمة....

أمّا من الناحية الاصطلاحية فالتصوف كما يعرفه **ابن خلدون**: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة» هذا بالنسبة لمفهوم التصوف أمّا المتصوفة فهم

والقول **للطوسي** «العلماء بالله وأحكام الله العاملون بمّا علمهم الله، المتحققون بما استعملهم الله الواجدون بما تحققوا، الفانون بما وجدوا لأنّ كلّ واجد قد فنى بما وجد».

مفهوم الأدب الصوفي:

يرى الناقد عبد المنعم خفاجة أنّ الأدب الصوفي هو أدب فنيّ أصيل فقد ابتدع فيه أدب الحب الإلاهي وهو أدب عاطفي في مناجاته وابتهالاته، وهو موضوعي يستهدف رسالة علم النفس والأخلاق والتربية لأنه يتحدث عن أهواء النفس الظاهرة والخفيّة وشهوات القلب الواضحة والمضمرة ونوازع الخير والشر.

هذا الأدب الذي أنتجه المتصوفة –شعرا كان أم نثرا– والذي ينبني على ثمرات الأحوال والوجدان وينتج عن مقامات السلوك ويزخر بروح دينية قوية، انفرد بخصائص عديدة تميّزه عن الأدب العام منها:

- اعتمادهم لغة الرمز والإشارات التي لا يقوى على فهمها غيرهم من المسلمين
- صدق العاطفة والوجدان فموضوع أدبهم يتناول تجربة المتصوف لتستوعب أدبه ككل
- تنوع قوالبهم الشعرية كأن تكون على شكل مطولات شعرية أو على شكل مقطوعات وهذا الغالب على شعرهم.
- علو لغتهم وجمالية الصور البلاغية فيها
- اتصاف الشعر الصوفي بالتكرار كتكرار الألفاظ والعبارات وحتى الأشطر والأبيات
- الأسلوب المباشر الذي يقدم المعنى على المبنى.